قصة سيدنا محمد ﷺ

قصص الأنبياء:

رأينا من خلال قصص الأنبياء أن هناك معوقات كبيرة وكثيرة واجهتهم، هل تذكرون صبر سيدنا نوح عليه السلام على قومه؟ وكذلك توكّل سيدنا إبراهيم عليه السلام؟

فقصص الأنبياء لم تكن للسَّرْدِ فقط؛ بل هي تمهيد للذي بعده فهل أنتم مستعدون؟ وأنتم تعلمون أن الطريق طويل وممكن أن نتعرض للفشل مرة وأخرى، ولكن نعود ونقف ونحاول من جديد.

اذن قصص الأنبياء هي عِبَر من أجل أن نتعلّم الإصلاح، ونحن خُلِقْنا من أجل الإصلاح في الأرض.

ولنستمر على طريق الأنبياء، هناك من صبر وهناك من مات وهناك من ضحّى، لقد تحدثنا عن أنبياء كُثر من إبراهيم وآدم وداود وزكريا ويوسف عليهم السلام.

وكلهم كان يتوكلون على الله، ويصبرون ويضحون. فقصص الأنبياء ليست قصص معجزات فقط؛ بل هي قصص تعلّمنا الصبر والتضحية والتوكل.

obeikandl.com

حياة رسول الله محمد ﷺ

وختامها مسك نختم بسيرة رسول الله ﷺ والهدف أن نرى أن كل حياته كانت إصلاحاً في الأرض.

فالآية العظيمة تقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: 81]، لقد جمع الله ﷻ كل الأنبياء من أول الخلق وأخذ من كلٍّ منهم الميثاق لو أنك عشت في زمن رسول الله ﷺ فعليك اتباعه.

يا إبراهيم لو أني بعثت محمد لتنصرنّه.

يا عيسى، يا موسى، يا نوح لو بعثت محمداً فانصروه.

قال تعالى: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81]. وتكفيك هذه الآية فخراً أن يكون رسولك ونبيك محمد ﷺ.

بداية نزول الوحي

كان رسول الله ﷺ يذهب دائماً إلى غار اسمه: حِرَاء، ويجلس هناك يتأمل ويفكر ويسأل: من خلق كل تلك السمٰوات والنجوم وكل هذه المخلوقات؟ وهي عبادة كان يمارسها النبيّ مذ كان في عمر الثلاثين إلى سن الأربعين سنة، وكأنها كانت تهيئة ليكون نبي هذه الأُمّة.

ومن أعظم ميزات غار حراء هو أنك ترى السماء باتساعها، وعندما تنظر إلى الأسفل ترى الكعبة أمام عينيك، وكان الرسول ﷺ يبذل جهداً كبيراً للوصول إلى الغار.

وفي أحد الليالي يأتيه الملك فيقول الرسول ﷺ: «**فبينما أنا في الغار إذا بالملك فأخذني وضمني وغطني حتى ظننت أنه الموت، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني وقال لي: اقرأ، وقلت: ماذا أقرأ، ثم أخذني في الثانية وغطني وضمني ثم أرسلني وقال لي: اقرأ، وقلت: ماذا أقرأ، ثم أخذني الثالثة وغطني وضمني ثم أرسلني، وقال لي: اقرأ حتى ظننت أنه الموت فقلت في الثالثة: ماذا أقرأ قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: 113]**»[1].

ولا بد من الوقوف على قضية هامة وكبيرة، وهي أول كلمة أنزلت: اقرأ، فديننا هو دين علم وإصلاح الى يوم القيامة.

لذلك كانت البداية قوية جداً، ومثلما قال الله تعالى لزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: 12]، هذه الضمة التي ضمها جبريل عليه السلام للرسول ﷺ هي لكل واحد منا، أي: خذوا يا مسلمين الكتاب بقوة وتمسكوا به، فمن تمسك به لن يضل بعده أبداً.

بداية النبوة:

وينزل النبيّ ﷺ من الجبل، ويتوجه إلى زوجته السيّدة

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3)، وأخرجه **الإمام أحمد** في «مسنده» (الحديث: 6/ 233).

خديجة ﵂ قائلاً لها: «**زملوني، زملوني**»، ومن هنا بدأ الإصلاح وبدأ بنشر الرسالة ودعوة الناس إلى التوحيد.

وبدأ العمل على الدعوة نهاراً وليلًا لا يهدأ، وتوالى نزول القرآن عليه وأول ما نزل من القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾، أي: قم الليل للصلاة وتعلم من القرآن وتحرك وادع الناس، يا أيها المزمل قم وادعُ الناس، ويا أيها المدثر قم فأنذر بالنهار واعبد ربك بالليل.

فأشفقت عليه السيدة خديجة ﵂ وقالت له: ألا ترتاح فيرد النبيّ ويقول: «**مضى زمن النوم يا خديجة**». وهذه نقطة البداية... رسالة الإسلام هي لإصلاح أحوالنا وأصدقائنا فإذا أردت اتباع سنة النبي ﷺ عليك أن تسلك نفس الطريق التي سار عليها.

بداية الدعوة

يبدأ الرسول ﷺ بدعوة أقرب الناس إليه زوجته وأصدقائه وأقربائه، فخلال ثلاث سنوات لم يؤمن برسالته سوى أربعة فقط وهم:

المرأة: هي زوجته السيدة خديجة ﵂.

والصِّدِّيق: هو سيدنا أبو بكر الصديق ﵁.

والعَبْدُ: وهو زيد بن حارثة ﵁.

وطفل في عمر الثانية عشرة وهو سيدنا علي بن أبي طالب ﵁

ابن عمه. وهؤلاء هم مصدر كل الخير الذي نعيش فيه الآن.

لا تقول إمكانياتنا قليلة فالنبي بدأ بأربعة فقط، ومن أول يوم أحضر سيدنا أبو بكر معه سبعة من أصدقائه، وهم من العشرة المبشرين بالجنة.

وبدأ يجتمع بهم في دار الأرقم بن أبي الأرقم يربيهم ويعلمهم الصبر والتضحية والتوكل، وتوالى نزول سور القرآن وقصص الأنبياء من «إبراهيم» و«يوسف» لتكون لهم مثلاً وتجربة.

وتنزل سورة «يوسف» و«هود» في هذا الوقت ليتعلموا منها الصبر ويجتمع النبي بالصحابة لمدة ثلاث سنوات سراً إلى أن يأتيه الأمر الإلٰهي ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 94]، فيخرج النبي إلى جبل الصفا ويعلن بكل جرأة الإسلام، ويبدأ بالمناداة ويقول: «**يا بني عبد المطلب، يا بني أسد**»، ويسمي كل قبيلة باسمها، فلما سمعوه تجمعوا حوله فقال لهم: «**يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ**».

قالوا: ما جربنا عليك كذباً، فقال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[1].

ومن هنا بدأ إيذاء الرسول والصحابة... وضعوا الرمل على رأسه وهو يصلي فعاد إلى بيته، وقد امتلأ جسده وشعره تراباً، فتراه

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 281، 307)

ابنته زينب فتأخذ بالبكاء فيقول لها: «**لا تبكي يا بنيتي، إن الله ناصر أباك**»[1].

وفي أحد الأيام ذهب إلى الصلاة أمام الكعبة، وعندما سجد رموا على رأسه سلا جزور - أي: أمعاء جمل ميت - ورغم ذلك ظل ساجداً حتى لا تقع هذه الأوساخ على وجهه، وبينما هو كذلك وهم يضحكون عليه، تمر السيدة فاطمة وتبعد هذه الأوساخ وتبدأ بالبكاء ويقول لها نفس الكلام الذي قاله لابنته زينب: «**إن الله معز دينه وناصر أباك**».

انظر الى المعوقات انها كثيرة... ولكنه لم يستسلم.

وفي أحد الأيام، بينما هو يصلي يأتي عقبة بن أبي معيط، ويخلع عباءته ويلفها حول عنق الرسول ليخنقه ويمنع عنه التنفس. فيسقط الرسول على ركبتيه. كلّ هذه المِحَن من أجل أن تتعظ وتعلم حق العلم أن الإسلام بحاجة إلى من يضحي لأجله، وأن يتحمّل ويصبر مهما تعرض للإهانة، فالرسول خير الخلق أجمع، صبر، وضحى، وتحمل ليرفع راية الإسلام عالياً.

وبدأوا يسخرون منه ويسمونه مذمماً، وكان الصحابة يكرهون ذلك، والرسول ثابت صابر لأن همّه الأكبر كان الإصلاح في الأرض والدعوة إلى الله.

---

(1) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية»(3/ 122)

إيذاء الصحابة:

ويزداد الأذى له وللمسلمين ويموت من يموت، حتى أن هناك من فقدوا بصرهم من جراء التعذيب في مكة ولم يَعُد عن إسلامه أحد.

ويعذّب أبو جهل آل ياسر لما رأى عندهم من قوة وثبات وإيمان وما وجد عند أم ياسر (سمية)، تلك المرأة النحيفة، ذات الستين عاماً، من صلابة إيمان وهي تقول له: أحد، أحد، فمن شدة غيظه يمسك بالحربة ويطعنها بها ويمر الرسول أمامها ويقول لها: **«صبراً آل ياسر، إن موعدكم الجنة»**[1].

من الذي انتصر هنا أم ياسر أم أبا جهل؟! وتموت أم ياسر (سمية)، ويبدأ بتعذيب زوجها فيموت هو أيضاً، ثم انتقلوا إلى تعذيب ابنها ياسر.

وانظر كيف عذّبوا خباب بن الأرت، فقد وضعوه على الجمر عاري الجسم وما يطفىء النار إلا شحم ظهره، ثم يذهب إلى الرسول ويقول له: ألا تدعو الله أن يدعوننا وشأننا فيقول له الرسول ﷺ: **«والله لَيُتِمَّنَّ الله هذا الدين ولكنكم تستعجلون»**[2]؛ أي: اصبروا إن الطريق طويلة وتحتاج إلى صبر كثير وطويل، ورأت قريش أن العذاب لم يَعُد ينفع مع الصحابة لأنهم يزدادون قوة، فقالوا: لمَ لا نفاوضه؟ أي: نعرض عليه فقالوا له: إن أردت ملكاً

(1) أخرجه **الحاكم** في «المستدرك» (الحديث: 3/ 383)، وذكره **ابن كثير** في «البداية والنهاية»(3/ 59)

(2) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 5/ 111)

ملكناك علينا وإن أردت مالاً نعطيك ما أردت، وإن أردت امرأة جميلة نعطيك ما تريد، ويَرُد عليهم الرسول وبكل هدوء وحكمة ورحمة: «**أفرغت يا أبا الوليد؟**»، قال له: نعم، فيجيبه الرسول فقال: «**فاسمع مني**»[1]، وبدأ يقرأ سورة «فصلت» إلى أن وصل إلى الآيـــــــــة: «﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: 13]»، فوضع يده على فم رسول الله ﷺ وقال له: ناشدتك الرحم أن تسكت؛ لأن الآية أثّرت فيه.

فذهبوا إلى عمّه أبي طالب وطلبوا منه التكلم معه، فسياسة المفاوضة لم تنفع وإلا سيقتلوه، وطلب أبو طالب من النبي أن يسمع لقومه ويجيب مطالبهم، فيردّ عليه النبي ﷺ ويقول مقولته الشهيرة: «**والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أموت في سبيله**»[2]. فقال له أبو طالب: اذهب يا بني فافعل ما تشاء.

فاجتمع أهل قريش إثر ذلك ليقرروا ما سيفعلوه بالنبي، فكان أن أخرجوه وأصحابه إلى خارج مكة في شِعب بني طالب، وكانت السيدة خديجة تأتيهم بالطعام والماء فمنعوها من ذلك ولكنها رفضت قائلة: لا والله إلا أن أكون مع المسلمين.

موقف خديجة ووفاتها

تنضمّ السيدة خديجة إليهم ويستمر الحصار لثلاث سنوات حتى أكلوا من أوراق الأشجار وكان هذا أحد الأسباب في وفاة

(1) أخرجه **ابن حجر** في «المطالب العالية» (الحديث: 4285)، وذكره **السيوطي** في «الدر المنثور» (5/ 358).

(2) ذكره **الطبري** في «تاريخه» (2/ 126).

خديجة، وخرجوا من الشعب بعد هذه السنوات وقد زادهم البلاء ثباتاً على إيمانهم وصبرهم.

وتموت السيدة خديجة التي كانت تقف إلى جانبه وتحميه من قريش ويموت أبو طالب أيضاً ـ أي يفقد الاثنين معاً في نفس العام ـ إذن على من سيعتمد؟! ولماذا الاثنان توفيا معاً في نفس العام؛ لأن الله يريد أن يقول له: ليس لك إلا الله لتعتمد عليه وتتكل عليه كجدك إبراهيم عليه السلام.

ويبذل الرسول ﷺ مجهوداً إضافياً فيقول: إذا لم يسمع منّي أهل مكّة لعل أهل الطائف يستجيبون ولكن أهل الطائف لم يكونوا أحسن حالًا من أهل مكة، إذ قاموا برميه بالحجارة حتى سال الدم من وجهه ورجليه ووقع مغشياً عليه، وزيد بن حارثة رضي الله عنه يحميه بجسده، وهنا ينزل عليه ملك ويقول له: يا محمد، لو شئت أطبق عليهم الأخشبين ـ أي: الجبلين اللذين يحيطان بالمدينة ـ فيقول له الرسول ﷺ: **«لا، عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله»**[1].

فلجأ إلى بستان في الطائف ورفع يديه بالدعاء إلى ربه: **«اللهمّ، إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب العالمين، وأنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تتركني، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب لا أبالي»**[2].

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 3231)، أخرجه مسلم في (الحديث: 4629).

(2) أخرجه البغوي في شرح السنة (الحديث: 6/ 167).

وبعد كل هذه الهجرات والابتلاءات حصلت رحلة الإسراء والمعراج تزكية لنفسه وليريه الله مقامه عنده وأنه راضٍ عنه، حصل كل ذلك لنرى كم ضحّى النبي ﷺ في سبيل أن نكون مسلمين، وليكون قدوة لنا في حياتنا.

الدعوة خارج مكة

بعد أن أصرّ أهل مكة على كفرهم، انتقل لدعوة بعض القبائل خارج مكة، وعرض الإسلام على ست وعشرين قبيلة كلهم أجابوه بالرفض، إلى أن رأى مجموعة من الشباب يحلقون رؤوسهم فعرض عليهم الإسلام. وقرأ عليهم القرآن، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: «هذا النبي الذي تتوعدنا به اليهود فلنسرع ولنلحق به» وحقيقة ذلك أن اليهود في المدينة كانوا يقولون للعرب: «حان وقت ظهور نبيّ آخر الزمان وسنقتلكم به شر قتلة» فصفات النبي كلها موجودة في التوراة عدا أنه من العرب، وكانت اليهود هي التي تبشر الناس بظهوره في المدينة، فقال لهم الرسول حينئذٍ: **«اذهبوا وعودوا إليّ العام القادم»**، فحضروا العام القادم وأصبحوا اثني عشر رجلاً مع أصدقائهم ثم قال لهم: **«عودوا العام الذي بعده»** وخلال هذا العام أصبح عددهم سبعين رجلاً وامرأتين، فبايعهم النبي ﷺ على الإسلام وأن ينصروه، ويمنعوه مما يمنعون به أنفسهم وأموالهم وأولادهم، ومنذ ذلك الوقت بدأت الهجرة[1].

هجرة الرسول

لا تعتقد أن الهجرة كانت سهلة، فمن الصعب أن يترك المرء

(1) ذكره **البيهقي** في «دلائل النبوة» (2/ 434، 435).

بلده وأهله فاسمع النبي يقول حين خرج من مكة وعيناه تدمعان من الحزن: «**والله يا مكة إنك أحب البلاد إلى قلبي ولولا قومك أخرجوني منك ما خرجت**»[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [الحج: 58، 59] وبدأ الصحابة بالهجرة تباعاً تاركين بيوتهم وأموالهم، وبدأت في المدينة حياة جديدة جهاد تلو جهاد، دارت عشرات المعارك مع المشركين واليهود، كان النصر فيها حليف المسلمين، مع العلم أن النبي كان قد أصبح في عمر الستين، واسمع إلى سيدنا علي ﷺ يقول: كنا نختبىء وراء الرسول ﷺ كلما اشتدت المعركة وحمي الوطيس لنحتمي به، وكان ذلك في غزوة حنين حين هرب الناس وهو واقف رافع يده بالسيف ويقول: «**أنا النبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»[2]، وكان النبي ﷺ دائم الابتسام، كثير العبادة، يعلّم الناس القرآن ويأخذ بيدهم إلى الإسلام.

وبدأ الشيب يغزو شعره فيقول له أبو بكر: يا رسول الله ما هذا؟ فيجيبه: «**شيبتني سورة هود والواقعة والمرسلات**»، يقول عمر: ومن الذي شيبك؟ فيقول الرسول: «**قول الله**: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: 112]»، أي: أنت والمؤمنين اثبتوا،

---

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3925)

(2) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 2874)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 4594)، وأخرجه **الإمام أحمد** في (الحديث: 1/ 264)، و (الحديث: 4/ 280).

وبدأ الرسول يصلي قاعداً، فقال له الصحابة: لماذا تصلي السنن قاعداً؟ فيقول لهم: **«من همي بالناس»**[1].

حجة الوداع:

وخرج قبل الوفاة ليحج حجة الوداع وأنزل الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، فيفرح سيدنا عمر بن الخطاب لهذه النعمة: فالدين قد اكتمل، ولكن أبا بكر يفهم ما تعنيه الآية ويبدأ بالبكاء فيسألونه: ما يبكيك؟ فيجيب وبكل هدوء: هذا نعي رسول الله، ويقف النبيّ أمام المسلمين في حجة الوداع ويقول لهم: **«أيها الناس، خذوا عني مناسككم فلعلي أن لا ألقاكم بعد عامي هذا»**[2].

اكتمال الرسالة

ويعود النبيّ ﷺ إلى المدينة، وقبل وفاته بتسعة أيام تنزل آخر آية في القرآن لتقول: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: 281]، وقبل وفاته بثمانية أيام يطلب منهم أن يزور شهداء أُحد ويذهب إليهم ويقف أمامهم ويقول: **«السلام عليكم شهداء أُحد، السلام عليك يا حمزة،**

---

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3297)، وأخرجه **الحاكم** في «المستدرك» (الحديث: 2/ 343)، أخرجه **الطبراني** في (الحديث: 17/ 287)، وأخرجه **أبو يعلى** في «مسنده» (الحديث: 107).

(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 3124)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 1970)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 3062)، وأخرجه **الإمام أحمد** في «مسنده» (الحديث: 3/ 337)، و (الحديث: 3/ 366).

أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[1]، وبينما هو عائد من زيارته لشهداء أحد يبدأ بالبكاء فيقول له الصحابة: ما يبكيك يا رسول الله؟ فيقول لهم: **«اشتقت إلى إخوتي»**، فيقولون له: أليس نحن بإخوتك يا رسول الله؟ فيقول: **«لا، بل أنتم أصحابي، أما إخوتي فقوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني»**[2].

وفاته

ويعود النبيّ ﷺ إلى بيت زوجته ميمونة ويقول لهن: «لتجتمع زوجاتي» فيجتمعون فيقول لهم: **«أتأذنون لي أن أمرَّض في بيت عائشة»**، فيقلن له: أذنًا لك يا رسول الله.

ويحاول أن يقوم من مكانه ولكنه لا يستطيع فيقع أرضاً، فيحمله علياً والفضل بن العباس إلى بيت عائشة ﵂، وما أن رأى الناس الرسول ﷺ محمولاً، حتى بدؤوا بالتجمع في المساجد.

وأُدخل إلى بيت عائشة وهو يتصبب عرقاً وقالت عائشة: ما رأيت الرسول يتصبب عرقاً هكذا، فأخذت يده ثم بدأت تمسح بها جبينه، فقالوا لها: لم تفعلين ذلك؟ قالت: لأن يده أكرم من يدي، وبدأ الناس بالتجمّع في المساجد بدون طعام ولا نوم فيقول الرسول: **«احملوني إليهم»**. فصبوا عليه الماء وحملوه إلى المسجد ووقف على المنبر وقال لهم للمرة الأخيرة: **«أيها الناس، لكأنكم تخافون عليّ، أيها الناس، موعدكم معي ليس في الدنيا، موعدكم معي عند الحوض، والله كأني أنظر إليه من مقامي هذا، أيها الناس،**

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 5/ 326).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 198)، و(الحديث: 2588)، و(الحديث: 4442)، أخرجه مسلم في (الحديث: 936)، أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1618).

والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تتنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم، أيها الناس، إن عبداً خيَّره الله بين الدنيا وبين لقاء الله فاختار لقاء الله».

ولم يفهم الصحابة ما قصده الرسول بهذا الكلام ولكن الصِّديق فهمه وبدأ يقاطع رسول الله، مع أنه لم يكن من أحد يقاطعه وهو يتكلم، ويقول له أبو بكر: فداك أبي وفداك أمي ومالي وولدي.

فنظر رسول الله إلى أبي بكر، وقال: «**أيها الناس، دعوا أبا بكر والله ما لأحدٍ منكم من فضل إلا كافأناه عليه إلا أبو بكر لم أستطع مكافأته، فتركت مكافأته إلى الله ﷻ كل الأبواب إلى المسجد تغلق إلا باب أبو بكر لا يُغلق**»، ثم قال لهم أيضاً: «**أيها الناس، من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري، فليقتص مني فإني أحب أن ألقى الله طيب النفس، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليقتصِ مني فإني أحب أن ألقى الله طيب النفس، ومن كنت أخذت منه مالاً فهذا مالي فليأخذ مني، ولا يخشى الشحناء فإنها ليست من طبعي**». فيقوم رجل ويقول له: أنا يا رسول الله، أخذت مني ثلاثة دراهم، فيقول الرسول: «**جزاك الله خيراً، يا عباس أعطوه ثلاثة دراهم**»، ثم يقول: «**أيها الناس، هل منكم أحد علي شيء**»، ثم قال: «**الله، الله في الصلاة وأُوصيكم بالنساء خيراً، وأوصيكم بالأنصار خيراً، آواكم الله ونصركم الله، وأعانكم الله، ثبتكم الله، حفظكم وأيدكم الله**»، ثم قال: «**أيها الناس، أبلغوا مني السلام كل من تبعني من أمتي إلى يوم القيامة**»، ثم ينزل الرسول ويُحمل إلى بيته، ويضع رأسه إلى صدر السيدة عائشة ويرفع يده إلى السماء ويقول: «**بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى**»[1]. ففهمت السيدة عائشة أن الوحي يكلمه.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 6/ 48).

ثم يدخل جبريل عليه السلام ويقول: السلام عليك يا رسول الله، فيرد النبي التحية بمثلها، ويدخل معه ملك الموت يستأذن أن يدخل على النبيّ فيقول له الرسول: «**ائذن له يا جبريل**»، فتفهم السيدة عائشة ويدخل ملك الموت ويقول: أرسلني ربي أن أخيرك بين البقاء في الدنيا وبين لقاء الله، فيقول له الرسول: «**بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى**»[1]. ويأتي ملك الموت عند رأسه الطيبة ويقول: أيتها الروح الطيبة روح محمد بن عبد الله، اخرجي برضاء الله ورضوان ربٍّ راضٍ غير غضبان، وتسقط يد رسول الله ﷺ ويثقل رأسه في صدر عائشة فقالت: ما كنت أدري ما أفعل لأني كنت صغيرة، ففتحت الباب ورأيت الناس أمام المسجد فنظرت إليهم وقلت: مات رسول الله، مات رسول الله، فقال عمر: لا لم يمت ومن يقول مات سأقطع عنقه، وبدأ علي بالبكاء، وأما أبو بكر فكان أكثر الناس ثباتاً فدخل بيته وقال له: طبت حياً وميتاً، ويحتضنه ويقبله بين عينيه ويقول: يا حبيباه، يا صديقاه، ويخرج للناس ويقول لهم: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: 144].

وتأكد الناس من وفاة رسول الله، فدفنوه، وهنا تقول لهم ابنته فاطمة: أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله.

ولم يستطع سيدنا بلال من شدة حزنه على وفاة رسول الله ﷺ

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

أن يكمل أذانه وخاصة عندما قال: محمد رسول الله، فبدأ بالبكاء، وبكى الناس جميعاً.

أخي المؤمن... هذه هي قصص الأنبياء وكلها دلّت على أنهم كانوا خليفة الله على الأرض، وأنت وكل واحد منا خليفة الله على الأرض، لا تقل: أنا عاجز، لا تقولي: أنا امرأة عجوز، لا أستطيع أن أفعل شيئاً، والله أنتم مسؤولون عن الأرض، ومنهلكم في ذلك الكتاب والسنة؛ لأنها المرجع للخليفة، يرجع اليها كلما ضل الطريق على مر الزمان.

قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله»[1].

(1) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 1/ 93).

فضل الدعاء

الدعاء هو سلاح عظيم، وأتمنّى لو تتوجّه كل طاقات هذه الأمة بالدعاء للمسلمين وللإسلام ولأبناء فلسطين والعراق.

جاء رجل من الصحابة وسأل النبيّ ﷺ وقال له: يا رسول الله، أبعيد ربنا فنناديه أو قريب هو فنناجيه؟ فنزلت الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186].

كان من عادة رسول الله ﷺ عندما يسأله أحدهم سؤالاً في الدين يطلب منه أن يمهله ليسأل ربه عنه، ولكن هنا نزلت الآية القرآنية بسرعة رداً على هذا السؤال.

وتعني: إذا سألك عبدي عني فإني قريب، ولم يقل: قُلْ بمعنى أمر، ولكن أخبر ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴿١٨٦﴾﴾، ولعل أقرب لحظات القرب من الله حين ترفع يديك لترجوه بالطلب والخشوع والدموع بالدعوة والإلحاح بالطلب.

لذلك يرد الله عليه بأني قريب وسأجيب دعوتك ودعوة من دعاني بهذه الدعوة؛ أي: أن الله سيستجب لعبده ساعة يدعوه سواء كان دعاء العبد في الليل أو في النهار، أي: أن الإجابة مضمونة؛

لأنه يجيب الدعوة. يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، أي إذا طلب مني أو دعاني فإني سأجيب دعوته ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، أي: الذي يتكبر عن عبادتي ولا يدعوني فهو في جهنم، أما الذي يدعوني فإني أستجيب له.

كيفية الدعاء:

انظر إلى الكيفية وإلى الطريقة التي تدعو بها، لتكن الدعوة بالرصمة والتواضع والذل، وليس بالتكبر والمعرفة وبلا مبالاة.

يقول الحديث القدسي وقد رواه أنس بن مالك، وكان أنس يقول هذا الحديث وهو يجثو على ركبيته: «**يا عبادي، كلكم ضالّ إلا من هَدَيته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلكم عاري إلا مَن كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل وبالنهار، استغفروني أغفر لكم**»[1].

يقول النبيّ ﷺ: «**الدعاء هو مخّ العبادة**»[2]، ويعني: التذلل لله، والعبد: هو الخاضع بين يدي مولاه، نقول: عُبِّدَت الأرض، أي: سويت، وذللت وهذا في اللغة العربية.

---

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2495)، وأخرجه **ابن ماجه** (الحديث: 4257).

(2) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3247)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 4/ 271).

عندما ترفع يديك لله وتقول له: اني محتاج اليك، فليكن دعاءك له بالتذلل والخضوع والخشوع والدموع، وهذه أسمى لحظات العبودية.

وهي التي تُشعِرَكَ بأنك بحاجة إلى الله، أي: إنك تقول له: ليس لي سواك لتستجيب لي وأنت القادر على كل شيء.

حتى وإن لم تكن بحاجة إلى طلب شيء معين، فالدعاء هو أيضاً مطلوب والتذلّل فيه عبودية لله.

الدعاء مسألة وعبادة:

وتعني: أنك هنا تعبد الله بالدعاء، يقول أحد التابعين: الدعاء ليلة القدر أحب إليّ من الصلاة.

ويقول الرسول ﷺ: **«من لم يسأل الله يغضب عليه»**[1] وقال أيضاً: **«لا تعجزوا مع الدعاء، فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد»**[2].

يقول الله ﷻ: **«أنا عند ظن عبدي بي»**[3]، وتعني: أن ظن الله بك تماماً مثل ظنّك بالله، ومثلما يكون ذلك الظن يكون الدعاء.

وليكن الدعاء موجه للمجتمع، وللأفراد بشكل عام،

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 442).

(2) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 1/ 494)، وأخرجه المنذري في «الترغيب والترهيب» (الحديث: 2/ 479).

(3) أخرجه مسلم في (الحديث: 6747)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 3603)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 3822).

obeikandl.com

وللأمة الإسلامية بشكل خاص، قال الرسول ﷺ: «إن الله يستحي، إن الله حيي كريم، أن يرفع العبد يديه ويقول: يا رب ويرده خائباً»(1).

إن الله يستحي من عباده المؤمنين أن يَرُدهم خائبين، عليك أن تدعو وأنت مُوقن بالإجابة.

استجابة الدعاء:

يقول سيدنا عمر ﷺ: أنا لا أحمل همّ الإجابة ولكن أحمل همّ أن لا أُلهم الدعاء، وهذا يعني: أن سيدنا عمر عندما يبدأ بدعاء ربه فهو لا يهمه إذا كان سيستجيب لدعوته أم لا؛ بل همّه الأكبر كيف سيدعو، ويقول أيضاً سيدنا عمر ﷺ: لأنا أشد خشية من أن أُحرم الدعاء أكثر من خشيتي من أن أُحرم الإجابة.

أي: أن همّه هو التركيز على الدعاء والإكثار منه وليس همّه سيستجاب له أم لا؟ ويخاف من الله أن يحرمه الإجابة؛ بل وأن يحرمه الدعاء. فلو اجتمعت شروط الدعاء من الخشوع والتذلل لله لا بد وأن يستجاب لك.

نماذج إجابة الدعوات في التاريخ

لقد استجاب الله تعالى لدعوات الكثير من عباده الصالحين. وهناك أمثلة من دعوات دعا بها الأنبياء الله تعالى، فاستجاب لهم

(1) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (الحديث: 5/186)، وذكره السيوطي في «جمع الجوامع» (الحديث: 4808).

obeikandl.com

منها: دعوة سيدنا نوح عليه السلام: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: 10]، لقد أوذيَ سيدنا نوح كثيراً من قومه طيلة سنين كثيرة، فدعا الله ﷻ أن ينصره على قومه الكافرين، لقد تغيرت نواميس الكون من أجله فقال الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: 11، 12].

كذلك سيدنا زكريا عليه السلام إذ دعا ربّه فقال: لقد أصبحت رجلاً عجوزاً وامرأتي عاقر، ولم أرزق بأي ولد ويقول في دعائه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: 89]، فيرد الله تعالى عليه ويستجيب لدعوته ويقول: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: 90].

كذلك سيدنا سليمان عليه السلام وهو في العصور الغابرة دعا ربه وقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: 35]، لقد أوتي سليمان ملكاً لم يؤت لأحدٍ من بعده أبداً، حتى ونحن في هذا العصر والتقدم التكنولوجي لم يصل التطور العلمي إلى ما أعطي لسليمان من النِعَم والملك.

كذلك دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو في وسط الصحراء، أي: في مكة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: 126]، فاستجاب الله له دعوته، ورغم آلاف السنين، لا زالت دعوته نافذة، وينعم بها أهل مكة من الخير والثمرات إلى يوم القيامة.

وسيدنا أيوب دعا ربَّه أن يكشف عنه ضره ومرضه، ولم ييأس ولم يستسلم للمرض، بل قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ

ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء: 83، 84].

هذه هي بعض النماذج والأمثلة لدعوات الأنبياء... لماذا لا ندعو الله بطريقتهم؟!

دعاء رسول الله ﷺ

يقول أبو هريرة للرسول ﷺ: يا رسول الله، دعوت أمي سنوات طويلة للإسلام ولكنَّها تأبى وتسبني وتسمعني فيك كلاماً يؤلمني ويؤذيني، ادع الله أن يهدي أم أبو هريرة.

فجلس النبيّ ﷺ ورفع يديه وقال: «**اللهمّ اهدِ أم أبو هريرة**»[1]، فقال أبو هريرة: فاستبشرت خيراً بدعوة النبيّ ﷺ وقلت: إن شاء الله السنة القادمة تؤمن أمي، ثم عدت إلى منزلي وعندما اقتربت من باب المنزل سمعت صوتي من الداخل، فقالت أمي: يا أبا هريرة مكانك، فتوقفت وظننت أنها ستبدأ بالسباب والشتم، ففتحت الباب وقالت لي: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فعندما سمعتها بكيت وعدت إلى النبيّ ﷺ وقلت له: استجاب الله لدعوتك الآن، فقال له الرسول ﷺ: «**الحمد لله**»، فقال أبو هريرة: أريد أن تدعو لي ثانية، فاعتقد الرسول أنه سيطلب منه هذه المرة بأن يرزقه المال، فقال له

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 6346)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 320)، وأخرجه **البغوي** في «شرح السنة» (الحديث: 13/ 307).

أبو هريرة: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى المؤمنين ويحبب المؤمنين إلينا. فقال له الرسول ﷺ: «**اللهم حبب عُبَيدِكَ هذا هو وأمه للمؤمنين، وحبب المؤمنين إليهما**»، فيقول أبو هريرة: فلم يسمع بي صحابي ولا تابعي ولا أحد إلا أحبنا أنا وأمي.

لكن دعوة النبي الكبيرة ادخرت إلى يوم القيامة، ولم يستعملها.

قال الرسول ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، أما أنا فادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[1].

لا تقل أن هذه الدعوات للأنبياء فقط؛ بل هي لكل شخص، ولكل فرد يدعو بتذلل وخشوع وهو موقن بالإجابة.

قال النبيّ ﷺ للصحابة: «**سيمر بكم رجل ليس من الصحابة؛ بل هو من التابعين اسمه: أويس القرني من اليمن، فإذا جاءكم فإن استطعتم أن تطلبوا منه أن يدعو لكم ويستغفر لكم فافعلوا**»، فمن الممكن أن يدعو الصغير للكبير وبالعكس.

يقول سيدنا عمر ﷺ مستغرباً كلام الرسول ﷺ: نظرت إلى النبيّ ﷺ وهو ينظر إليّ ثم قال لي: «**وأنت يا عمر إن أدركت أويس فاسأله أن يدعو لك**»[2]، وبعد وفاة الرسول ﷺ قال عمر: كنت أنتظر مواسم الحج كل عام وكلما مرت قبيلة أو وفد من اليمن

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 497)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 3/ 219).

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 6438).

أسألهم عن أويس القرني حتى وجدته وطلبت منه أن يدعو لي ويستغفر الله لي.

الدعاء للجميع:

يستجيب الله تعالى دعاء الصغير والكبير، النساء والرجال والأطفال، فالله قريب يجيب دعوة كل داعٍ، وأبوابه لا تغلق أبداً.

والإنسان ينسى كَمْ دعوة استجابها الله له، فتذكر أيها الإنسان كَمْ دعوة أجيبت لك، واعلم أن الشيطان هو الذي ينسيك فضل الله عليك وفضل الدعاء وفضل الاستجابة؛ لأنك لو تذكرت كل دعوة أجيبت لك، فإنك ستظل متعلقاً بالله.

كان الصحابة يكثرون من الدعاء ولكن مع العمل الدائم دون توقُّف، حتى يستجاب لهم.

تذكر أن الدعاء هو السلاح الذي يخلّصك... كان الصحابة يؤجّلون الدعاء الى ليلة القدر، فيقضون كل الليل في الدعاء حتى الفجر، ويلحّون بالطلب وبالخشوع والتذلل، وهم موقنون بالإجابة ويقولون: والله لا يأتي رمضان القادم حتى يستجيب الله لدعوتنا.

شروط الإجابة:

يقول ابن القيم: هذا الدعاء لا يردّ أبداً.

1 ـ اليقين في الإجابة عند الدعاء:

يقول الرسول ﷺ: **«ادعوا الله وأنتم موقنون في الإجابة»**[1]، ويقول أيضاً: **«لا يدعونَّ أحدكم فيقول: رب إن شئت أعطيتني كذا، ولكن ليعزم في المسألة»**[2].

أي: إن أردت أن تُعْتَق من النار، فلتكن الدعوة بعزم، وادعُ وأنت موقن بالإجابة... استمع إلى دعوات الأنبياء كلها يقين بالإجابة.

يقول سيدنا زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 4].

أي: كلما دعوتك كنت تستجيب لي دائماً.

وكذلك دعوة النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: 39]، أي: أدعُ وأنت مطمئن بالإجابة.

أعرف شخصاً سافر إلى العمرة ليدعو الله أن يهدي صديقاً له يحبه كثيراً وهو في مصر، فعندما عاد منها وجد صديقه قد هداه الله إلى الصلاح والخير، انظر إلى المدة كانت أسبوعين فقط، واستجيبت الدعوة، لماذا؟ لأنه دعا بإخلاص ونية صادقة ثقة بالله.

وهناك أشخاص يدعون الله أن يرزقهم الأولاد وتمر سنوات طويلة ولا يستجاب لهم، وفي يوم يكون الدعاء فيه صادقاً

---

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3479)، وذكره **السيوطي** في «الدر المنثور» (الحديث: 1/ 195).

(2) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 6339)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 1483)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3497).

فيستجيب الله لهم، ويرزقهم الأولاد، هذا ليس صعباً على الله؛ لأن الله قادر على كل شيء قدير.

2 ـ الخشوع والتذلّل لله أثناء الدعاء:

يقول عبد الله بن عمر ﷺ: أنا أعلم متى يستجاب الدعاء، قالوا له: كيف؟ قال: إذا خشع القلب، واهتزت الجوارح ودمعت العين يستجاب الدعاء.

يقول العلماء: من جمع الله قلبه وقت الدعاء استجيب له.

انظروا الى الخشوع والتذلّل لله... ستكون استجابة الدعاء على قدر التذلّل.

اذهب إليه بذلّك يمدك بعزه، اذهب إليه بفقرك يمدك بغناه، اذهب إليه بضعفك يمدك بقوته.

يقول الإمام ابن حنبل: هل تعلمون متى يستجاب الدعاء؟ رجل في بحر هائج سقط من سفينته تعلق بخشبة فيدعو ويقول: يا رب، فإذا دعوتم مثل ذلك الرجل حتماً سَيُستجاب لكم.

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: 62]، والمضطر هو المتذلل لله، انظر إلى النبيّ ﷺ وهو يدعو الله يوم معركة بدر... ظل يدعو حتى سقطت عباءته وبدأ يلح بالدعاء والتذلّل له، ويقول له أبو بكر: هوّن عليك يا رسول الله، إن الله لن يخذلك أبداً لذلك تقول الآية: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 9].

أنين المذنب هو أحب اليه من تسبيح المرائي، يا مذنبين، يا أصحاب الكبائر، ادعوا الله أن يغفر لكم.

3 ـ عدم الاستعجال:

قال النبيّ ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يستعجل**»[1]، أي: تقول دعوت ودعوت فلم يستجب لي، فتترك الدعاء، حينها يمكن أن يدعو أحدكم الله عشر سنوات أن يهدي الله له إخوته أو ابنه أو أخته مثلاً حتى يستجاب له، لذلك لا تستعجل الإجابة، ذلك مثل الذي يذهب فيزرع ثمرة ويريد أن تزهر بسرعة وهذا لا يحصل؛ لأن الثمرة لا تزهر إلا بوقت خصصه الله لها، كذلك مثل الدعوة فلا يستجاب لها إلا في الوقت الذي خصّصه الله لها.

أحياناً يعجّل لك الدعاء لمصلحتك، وأحياناً يؤخر لك الله دعاءك إلى أن يسمع صوتك وأنت تتذلّل إليه بكل خشوع.

جاء في الأثر: قال الله تعالى: يا جبريل، دعاني عبدي؟ يقول: نعم يا رب، أتذلّل لي عبدي؟ قال: نعم يا رب، قال: يا جبريل، أخّر مسألة عبدي، فإني أحب أن أسمع صوته.

4 ـ أكل الحلال:

إن كان هناك شك عند أي أحد منكم في ماله، فليخرج

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 6340)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6869)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 1484)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3387)، وأخرجه **ابن ماجه** (الحديث: 3853).

صدقته حالاً والآن؛ لأن الصدقة تطهر أموالكم وهذا مهم جداً.

يقول النبيّ ﷺ: **«ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر مضطر ويدعو الله ويتذلّل، مطعمه حرام وملبسه حرام وغذيَ بالحرام فكيف يستجاب له»**[1].

لذلك طهّروا أموالكم وتصدقوا وادفعوا زكاتكم حتى يستجيب الله دعاءكم.

آداب الدعاء:

ترفع يديك إلى السماء وتتذلّل مثل النبيّ ﷺ ثم تبدأ بالقول: الحمد لله ثم الصلاة على رسول الله ﷺ، وتبقى تستغفره تتوب إليه وتخفض رأسك وتخشع على قدر استطاعتك، وتنادي الله بأسمائه الحسنى، وتُخرج صدقة على أموالك، والله هذا الدعاء لا يرد.

لا تقل: إني لا أعرف كيف أدعو، ادعُ بأي طريقة، بالإحساس الذي في داخلك، جاء صحابي إلى رسول الله ﷺ قال له: أنا لا أعرف كيف أدندن مثلك ومثل معاذ، فيسأله الرسول: **«ماذا تقول؟»**، فيقول له: أقول: اللهمّ أدخلني الجنة ونجني من النار، فيقول له النبيّ ﷺ: **«حولها أنا أدندن أنا ومعاذ»**[2].

سر الدعاء: «اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعفو عنا».

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 2343)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2989).

(2) أخرجه أبو داود في (الحديث: 792)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 5/ 73).

هذا هو المفتاح:

يروى عن عائشة ﵂ أنها سألت النبي ﷺ مرة: يا رسول الله، ما أقول إن أدركتني ليلة القدر؟ قال: **«قولي اللهمّ إنك عفوّ تحب العفو فاعف عني»**[1].

قد يتبادر إلى كثير من الناس عندما يستمعون لهذا الحديث أن هذا هو المطلوب فقط. فيقولون: نريد شيئاً عظيماً ندعو به في هذه الليلة، وأنا أقول لهم: هذا أعظم ما تدعون به الله في هذه الليلة، فهذا هو المفتاح.

انظر معي: **«إنك عفو تحب العفو فاعف عني»**. كلها عفو، أي: أن الله تعالى يتجلى في هذه الليلة باسمه العفو. والنبي ﷺ هو الذي أشار أن مفتاح هذه الليلة هو هذا الدعاء.

لماذا اسم العفو:

فلماذا اسم الله العفو؟ وليس الغفور مثلًا؟ أو ليس: اللهم إنك غفور، تحب المغفرة فاغفر لي! فنحن طوال العام ندعوه باسمه الغفور، لكن هذه الليلة ندعوه باسمه العفو.

تعالوا نعيش مع اسم الله العفو، وندرك معناه حتى ندعوه به.

وما الفرق بين اسم الله العفو، واسم الله الغفور؟

العفوّ يا إخوتي صيغة مبالغة من العفو، أي: المبالغة في العفو، فهو يسامح ويسامح ويسامح، ويتجاوز ويتجاوز، حتى يمحو ويطمس.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 6/ 171).

أما الغفور، فيسامح ويتجاوز لئلا يحاسبك على الذنب، فالغفور لن يعاقبك، أما العفوّ فسيمحيه أصلاً.

مثلاً: صحيفة فلان، تكون يوم القيامة ملأى بالسيئات، وأمام كل سيئة عقابها، وفي آخر الصحيفة يُكتب فيها: فلان لن يُعاقب، فهذا هو الغفور، أما العفوّ: فإن الصحيفة تمزق ويأتي يوم القيامة وصحيفته بيضاء ليس عليها شيء، تُمحَى من جذورها. أرأيت الفرق بين العفوّ والغفور؟

الغفور لن يعاقبك يوم القيامة، لكن قد يُسائلك ويعاتبك، وقد تُفضَح يوم القيامة: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: 65]، ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: 21].

هول الموقف:

تخيل معي هذا الموقف! تخيل يدك وهي تشهد عليك يوم القيامة، يا رب، فعل بي كذا، سرق، تطاول على أمه وأبيه، شرب الخمر، تعاطى المخدرات، شرب السجائر وهو يعلم أن هذه الأفعال من الخبائث، لمس امرأة بالحرام... تخيل يديك وهما تشهدان عليك. أو يأتي جسدك فيشهد، زنى بيّ، ذهب للمكان الفلاني، خان زوجته... تخيل الفضيحة، وفي آخر الأمر لا يعاقبك؛ لأنه الغفور.

أما العفوّ: فكأنك لم تفعل شيئاً؛ لأن ذنوبك مُحيت أساساً وسجلات الملائكة قطّعت، ويمكن أن ينسيك أنت أيضاً الذنب.

العفو يعني: الماحي، أي: أصبحت الصحيفة بيضاء، فيوم القيامة لن تقف أمام الخلق وتفضح لماذا؟ لأنه عفوّ، أرأيت فضل هذه الليلة؟ ليس أنه فقط لن يعاقبك، بل لن يفضحك أيضاً.

يأتي يوم القيامة منادٍ فينادي: أين الكذابون؟ والبشرية كلها تسمع، فيقوم أناس وأناس وأنت منهم، أين العاصون؟ فيقوم أناس وأناس، وأنت منهم أيضاً، ليقم من خدع زوجته، لتقم من خدعت زوجها، ليقم من خان أمه وأباه، وأنت في كل مرة تكون واحداً منهم، وأراك يا مسكين، كلما نودي في ذنب تقف وتُفضح، ليقم الزناة، ليقم من فعل الكبائر... انظر الفضيحة، والناس تقول: كل هذا؟ وكان يداري بيننا في الدنيا، فيأتي أخيراً ويقال لك: السماح لك، ليس لك عقوبة، لكن في حالة العفو، أنت لن تقف أبداً.

أتشعر معي بمعنى العفو؟ أتشعر بمعنى هذا المفتاح العظيم الذي أعطاه الرسول ﷺ لعائشة ﵂ ولنا من بعدها؟

تخيل الميزان يوم القيامة فيه الحسنات والسيئات، وفيه السيئات مجسدة أمام عينك: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: 29]، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: 31]، فتخيل وأنت تأتي بالفاحشة الفلانية وهي مجسدة وضخمة فتوضع في ميزانك؟

تخيل هذه الكارثة والفضيحة؟ وأخيراً يقول لك: غفرت لك هذا هو معنى اسمه تعالى الغفور. لكن العفو: لن توضع أساساً؛ لأنه عفا ومحا، وذلك لأنك قلت: «اللهمّ إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»، فعفا عنك.

وليس هذا فقط... بل العتاب يوم القيامة يكون بأن تقف بين يدي الله سبحانه وتعالى ويقول لك: أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ والناس تسمع، تخيل هذه الوقفة وسط الخلائق. ينادَى: فلانة بنت فلان، هلمّ للعرض على الجبّار، فتقف أمام الله والناس كلها تنظر، والملائكة تعرفك؛ لأنك أكثر شخص يرتعش بين الخلائق حينما يُنادَى عليك، فتأتي وتحاسب أمام الجميع، أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ ألم أنعم عليك؟ ألم أرزقك؟ ألم؟ ألم؟ ألم؟

تخيل الإحساس في هذه اللحظة!

يقول سيدنا علي بن أبي طالب: أعلم أقواماً سيسقط منهم لحمهم خجلًا، وهم تُعرض قبائحهم على الله ﷻ.

وأخيراً يقول لك: غفرت لك، أما العفو، فهذا كله لن يحصل. يروى أنك تأتي يوم القيامة، فيقول الله ﷻ: أُدنُ يا عبدي، فيُرخي عليك ستره حتى لا يسمع أحد: يا عبدي، أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟ فتقول: يا رب، فيقول الله ﷻ: يا عبدي، سترتها عليك في الدنيا، وها أنا أغفرها لك اليوم، اذهب يا عبدي فادخل جنتي، ذلك لأنك قلتها من قلبك ذات يوم في ليلة القدر: «اللهمّ إنك عفوّ تحب العفو فاعف عني».

العفو والرضى:

أتشعر هذا المعنى الرائع في العفو؟

العفوّ أي: الماحي، تقول العرب: محت الآثار، أي: أزالتها، أي: عفت.

عندما تثبت آثار الأقدام في الرمال تأتي الرياح فتمحوها، أي: تعفو أثرها.

تخيل هذا الموقف الجميل! تأتي وكُلُك أخطاء ثم يقال لك: مُرّ فليس عليك شيء.

وللعفوّ معنى آخر غير الأول، العفو الذي يرضى بعد أن يغفر. فليس أن يعفو بأن يمحو فقط، بل ويرضى عنك أيضاً.

الغفران ليس من شروطه أن يكون راضياً عنك، لكن العفو لا بد وأن يكون قد محا وسامح ورضي.

الستار: يسترك لكنه غير راضٍ عنك.

أرأيت هذا المفتاح الذي أهدانا إياه الرسول ﷺ؟

قد ترى أحد المتخاصمين يقول: اعفُ عني، فيقول الآخر: عفوت عنك، فيقول: وهل قلبك راضٍ؟ فيقول: أجل راضٍ. فهذا هو العفوّ.

قلبها من قلبك: اللهمّ انك عفوٌّ تحب العفو فاعف عني. وصدقوني قد يكون العاصي الآن أكثر حرقة فيقولها من كل قلبه.

الكبائر والعفو:

والملاحظ أن كلمة العفو تأتي دائماً مرافقة للكبائر في القرآن الكريم، فلا تظنوا أنها للطائعين فقط، وأن العاصين ليس لهم شأن بهذا الموضوع.

فانظر معي: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة: 51]، تخيل، عبدوا العجل من دون الله ﷻ، فماذا تحتاج هذه؟ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [البقرة: 52].

من أكبر الذنوب أن تتوانى ساعة المعركة عن القتال في سبيل الله، فالتولي يوم الزحف هو من أكبر الكبائر في الإسلام، وتقول الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: 155].

العفو مع التوبة:

كيف نقابل عفو الله تبارك وتعالى؟

نقابله بالتوبة، فليس لي أن أصر على معصيتي وأطلب العفو من الله وأنا أكابر، فلماذا لا نقابل العفو بتوبة؟ قدم القليل تحصل على الكثير. «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**»[1]، إن الله يفرح بتوبة عبده، فتخيل يغفر لك ويسامحك، ثم يفرح بتوبتك أيضاً.

والرسول ﷺ يضرب لك مثلاً رجلاً يمشي في صحراء ويجرّ وراءه ناقته، وفي وسط الصحراء تجري الناقة وتهرب، وعلى ظهرها الطعام والشراب فيوقن بأنه سيموت، ويحفر حفرته ليموت فيها، وهو يائس، وإذا بالناقة فوق رأسه وعليها طعامه وشرابه، فمن شدة

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6921)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 4/ 395).

فرحه دعا ربه وأخطأ في الدعاء حيث قال: اللهمّ أنت عبدي وأنا ربك، تخيل هذا المعنى! فيقول الرسول ﷺ: «**لله أفرح بتوبة أحدكم من هذا الرجل**»[1].

أتعلم لماذا؟ أب لديه خمسة أولاد وكلهم طائعون، إلا واحداً عاقّ جداً، فكرهه الأب من شدة عقوقه، فاليوم الذي سيرجع الابن العاصي هذا ويقول لأبيه: يا أبتِ سامحني تبت ولن أعود، ففرحة الأب حينها ستكون أكبر من فرحه بطاعة أولاده الباقين.

فلأجل ذلك تكون فرحة الله بتوبة عبده أكثر من فرحته بالطائعين من قبل.

فما هو أجمل يوم في حياتك؟ يا ترى يوم أن تزوجت؟ أو يوم رزقت بمولود؟ أو يوم نجحت؟

لا والله ليس هؤلاء جميعاً، أجمل يومٍ في حياتك يوم يتوب الله عليك ويعفو عنك.

أبشر بالتوبة:

الصحابي: كعب بن مالك ﷺ، تخلّف عن غزوة تبوك دون عذر فأمر النبيّ ﷺ جميع الصحابة ألا يكلموه خمسين يوماً.

وفي اليوم الخمسين نزلت الآية بتوبة الله ﷻ على كعب، ونزلت الآيات عند صلاة الفجر، وكعب يصلي على سطح بيته،

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 6308)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6890)، و(الحديث: 6892)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2497)، وأخرجه **الإمام أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 534).

فتسارع الصحابة كلهم يريدون أن يبشروا كعباً بتوبة الله ﷻ عليه.

فيصعد صحابي فوق الجبل ويصيح: يا كعب بن مالك، أبشر قد تاب الله عليك. وصحابي آخر يصعد على فرسه ويجري مسرعاً نحو بيته يريد أن يبشّره، لكن الصوت كان أسرع، فأول ما سمع الصوت سجد شكراً لله، فلما وصل الثاني خلع كعب عباءته وأعطاه إياها وقال: والله ما أملك غيرها.

ويذهب إلى المسجد فيتلقاه الناس في الطرقات وهم يهنّئونه بالتوبة.

ودخل المسجد ونظر إليه النبيّ ﷺ وابتسم، ووجهه كقطعة قمر، وقال له: **«تعال»** فذهب خجلاً من المعصية، فقال له: **«تعال»**، فجلس بين يديه، فنظر إليه الرسول وقال: **«أبشر يا كعب بخير يوم طلع عليك منذ أن ولدتك أمك، تاب الله عليك»**[1].

شروط التوبة:

فأجمل يوم في حياتك يوم أن يتوب الله عليك. وشروط التوبة ثلاثة:

1 ـ الندم.

2 ـ التوقف عن الذنب.

3 ـ عدم العودة إليه.

---

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3102)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 3/ 459).

ابتعد عن كل ما هو محرم، ابتعد عن كل ما يغضب الوالدين، لا تترك الصلاة والزكاة واعمل على نصرة الدين، ابتعد عن كل هذه الأمور ونفّذ شروط التوبة. نسأل الله التوبة والعفو عنا.

أحاديث العفو:

تعالوا نعيش مع أحاديث العفو، قال رسول الله ﷺ: **«ما من يوم إلا ويستأذن البحر ربه، فيقول: يا رب، ائذن لي أن أغرق ابن آدم فإنه أكل رزقك وعبد غيرك، وتقول الأرض: يا رب، ائذن لي أن أبتلع ابن آدم، فإنه أكل رزقك وعبد غيرك، وتقول السماء: يا رب، ائذن لي أن أطبق على ابن آدم، فإنه أكل رزقك وعبد غيرك، فيقول الله تبارك وتعالى: ذروهم لو خلقتموهم لرحمتموهم»**.

وفي الحديث القدسي: **«يابن آدم، إنك إذا دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يابن آدم، لو أتيتني يوم القيامة بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة»**[1]، وانظر هذا الحديث الشريف: **«أذنب عبد فقال: يا رب، اغفر لي، فقال الله: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، فغفرت لعبدي، ثم عاد فأذنب ذنباً فقال: رب اغفر لي، فقال الله: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، قد غفرت لعبدي، ثم عاد فأذنب ذنباً.. قد غفرت لعبدي، قد غفرت**

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3540)، وأخرجه الدارمي في (الحديث: 2/ 322)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 5/ 172).

لعبدي ما دام يستغفرني ويتوب إليّ، وأنا أتوب عليه وأغفر له».

وانظر هذا الحديث القدسي: «**إن الإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، أرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتودد إليهم برحمتي، وأنا الغنيّ عنهم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر ما يكونون إلي، أهل ذكري أهل مجالستي، فمن أراد أن يجالسني فليذكرني أهل طاعتي أهل محبتي، وأهل معصيتي لا أقنّطهم من رحمتي، إن تابوا إلي فأنا حبيبهم وإن أبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب، من أتاني منهم تائباً تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب، أقول له: أين تذهب؟ ألك رب سواي؟**»، وانظر لهذا الحديث القدسي أيضاً: «**ما غضبت على أحد غضبي على عبدي يفعل الذنب، ثم يتعاظمه جنب مغفرتي وعفوي**». فيظن العبد أن ذنبه أكبر من مغفرة الله، وأن الله لن يغفر له أو من المستحيل أن يغفر الله له، وهذا من أكثر ما يغضب الله تعالى.

وإليك هذا الحديث القدسي: «**ابن آدم خلقتك بيدي، وربيتك بمعرفتي، وأنت تخالفني وتعصاني، فإن رجعت إلي تبت عليك، فمن أين تجد لك إلهاً مثلي، وأنا الغفور الرحيم، عبدي خلقتك من العدم، وأنشأت لك السمع والبصر والقلب والفؤاد، عبدي أسترك ولا تخشاني، أرزقك وأنت تنساني، فمن أعظم مني جواداً، ومن ذا الذي سألني فلم أفتح له، ومن ذا الذي قرع بابي فلم أعطه، أبخيل أنا يبخل عليّ عبدي**».

وحديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: «**يقول الله: إني لأستحي**

أن يرفع إلي عبدي يديه فأردهما، فتقول الملائكة: إلٰهنا إنه ليس أهلاً لمغفرتك وعفوك: فأقول: ولكني أهل التقوى وأهل المغفرة، أشهدكم أني قد غفرت لعبدي»[1].

ويقول النبيّ ﷺ: «إن العبد ليلتمس مرضاة الله ويلح على ذلك حتى يقول الله تبارك وتعالى: ألا إن رحمتي على عبدي، فينادي جبريل: رحمة الله على فلان، رحمة الله على فلانة، فينادي حملة العرش: رحمة الله على فلانة فينادي أهل السماء: ألا إن رحمة الله على كل شيء»[2].

جملة خطيرة: «اللهمّ إنك عفو تحب العفو فاعف عني»، جاء رجل إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنا كثير الذنوب، فهل يعفو الله عني إن تبت إليه؟ فقال له النبيّ: «نعم يعفو عن كل ما مضى»، فقال: يا رسول الله، وغدراتي وفجراتي؟ فقال له النبيّ: «وغدراتك وفجراتك»، قال: يا رسول الله، وغدراتي وفجراتي؟ قال له: «وغدراتك وفجراتك»[3]، فغدا الرجل يقول: الله أكبر العفو يغفر الذنوب.

اطلب العفو من قلبك، فلا تُفضَح يوم القيامة، ولا تُعاتَب أمام جميع البشر.

هذا عن العفو في الدنيا فكيف عن العفو في يوم القيامة؟!

---

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3556).

(2) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 5/ 279).

(3) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (الحديث: 6361).

العفو يوم القيامة:

ولننظر إلى العفوّ ماذا يفعل يوم القيامة: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال له: من يرى حساب الخلق يوم القيامة؟ فقال النبيّ: **«الله»**، فقال الرجل: بنفسه يا رسول الله؟ فقال النبيّ: **«نعم»**، فابتسم الأعرابي وضحك، فقال له النبيّ ﷺ: **«فما ضحكك؟»**، فقال الأعرابي: إن الكريم إذا قدر عفا، وإذا حاسب سامح، فقال النبيّ ﷺ: **«فقه الأعرابي، ألا كريم أكرم من الله ﷻ»**[1]، وهذا حديث للنبيّ ﷺ: **«إن لله مئة رحمة، أنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة يتراحم بها كل الخلائق»**[2]، الآباء والأمهات والأزواج وحتى الحيوانات يتراحمون بهذه الرحمة الواحدة التي أنزلها الله تبارك وتعالى إلى الأرض.

فإذا كان يوم القيامة، ضم الله هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين رحمة، كل رحمة كما بين السماء والأرض، ثم بسطها على الأرض، فلا يهلك يومئذ إلا هالك: **«ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب بشر، حتى إن إبليس ليتطاول لعله تدركه رحمة الله وعفو الله»**[3]، لكن طبعاً أنّى له هذا.

وانظر أيضاً العفو يوم القيامة، جاء في الخبر: أن رجلاً من أمة محمد يأتي يوم القيامة فيقول الله تبارك وتعالى: ضعوا سيئاته فتفرد سيئاته، فإذا هي تسعة وتسعون سيئة، كل سجل منها كمد البصر فيقرأ سيئاته فتوضع في كفة السيئات، تطيش سيئاته، فيقول

(1) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (1/ 153).
(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 6909).
(3) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (الحديث: 3/ 130).

الله تعالى: ضعوا حسناته، فلا تزن عند الله جناح بعوضة، فيقول الله تبارك وتعالى: أبقي له شيء؟ فتقول الملائكة: نعم يا رب، بطاقة صغيرة، فيقول العبد: يا رب، وماذا تفعل هذه البطاقة، قد هلكت؟ فتوضع بين السجلات، ويقول الله تبارك وتعالى: إني لا يظلم عندي أحد، فتوضع البطاقة، فإذا هي مكتوب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، قالها مرة بصدق، لعلها كانت في ليلة القدر، فطاشت السجلات ورجحت كفة الحسنات، فقال النبيّ ﷺ: **«ولا يثقل مع اسم الله شيء»**، ونجا الرجل بلحظة صدق.

يأتي الله تعالى يوم القيامة بالأطفال الذين ماتوا قبل أن يبلغوا الحلم، فيقول لهم: اذهبوا فادخلوا الجنة، فيقول الأطفال: لا يا رب حتى تعفو عن آبائنا وأمهاتنا، فيدخلون معنا الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: خذوا بيد آبائكم وأمهاتكم فادخلوا بهم الجنة، بشرى للآباء والأمهات الذين فقدوا أولاداً قبل أن يبلغوا الحلم.

يقول سلمان الداري أحد التابعين: لأن سألني يوم القيامة عن ذنبي لأسألنّه عن عفوه، ولأن سألني عن تقصيري لأسألنّه عن رحمته، ولأن قذفني في النار لأخبرن أهل النار أنني أحبه.

خاصية العفو لأمة محمد ﷺ:

وانظر لعفو الله المخصوص بأمة محمد، يقول النبيّ ﷺ: **«عُرضت عليّ الأمم يوم القيامة، فرأيت النبي يمر ومعه الرهط، ورأيت النبي يمر ومعه الرجل، ورأيت النبي يمر وليس معه شيء، ثم عُرض علي سواد عظيم، فقلت: أمتي أمتي، فقيل لي: لا هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق الآخر، فنظرت فإذا سواد يسد الأفق، فقلت: من هذا؟ فقيل لي: هذه أمتك، فقلت: هذه أمتي؟**

فقيل: نعم، وقيل لي: أرضيت يا محمد؟ فقلت: رضيت يا رب، وقيل لي: ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب»[1].

يأتي النبيّ ﷺ وقد دخل المسلمون الجنة، ولا يزال قسم من أمته في النار، فأقول: «يا رب، أمتي أمتي أمتي، فيقول الله تبارك وتعالى: عفونا يا محمد، اذهب فانطلق إلى النار، فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعرة من إيمان، فأخرج ناس كثيرون، ثم أعود أقول: يا رب، ما يزال الكثيرين في النار فيحد حداً ويقول لي: أخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فأخرج من النار الكثيرين، وبعد ذلك، من كان له مثقال حبة خردل من إيمان فأخرج من النار الكثير، ثم أستحي من ربي أن أستزيد، فيقول الله تبارك وتعالى: شفعت الملائكة، شفع المؤمنون، شفع الأنبياء، شفع حبيبي محمد، لم يبق إلا أرحم الراحمين، أفلا أعفو أنا، فيضع الله تبارك وتعالى قبضته في النار، فيخرج أناس من المسلمين لم يعملوا خيراً قط قد تفحموا، فيلقيهم في نهر يقال له: نهر الحياة، فكأنما ينبتون من جديد، ويكتب على جبينهم: هؤلاء عتقاء الله من النار، فيقال لهم: اذهبوا فادخلوا الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء الجهنميون، فيقول الله تعالى: لا هؤلاء عتقاء الرحمٰن، فيخرج منهم رجل فيقول له الله: اذهب فادخل الجنة، فيذهب فينظر، فيخيل إليه أنها ملأى، فيعود فيقول: يا رب، وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى: أما ترضى أن يكون لك ملك كملك أعظم ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: يا رب، أتهزأ بي وأنت رب العالمين؟ فيقول الله تعالى: لك مثل ملك أعظم ملك من ملوك الدنيا ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله... فيقول العبد: رضيت يا رب، فيقول الله تبارك وتعالى:

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 271) و(الحديث: 1/ 401)، و(الحديث: 1/ 420).

لك مثل ملك أعظم ملك من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله، ولك فيها ما اشتهت نفسك، وتمنت عينك، وأنت فيها خالد»[1].

يا أخوتي، خذوا عافيتكم من العفو، حتى تتقووا بها على طاعة الله، تزودوا بالإكثار من الدعاء: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا، التوبة، التذلل بين يديه.

عن عمر بن الخطاب ﷺ يقول في العشر الأواخر من رمضان: أنظر إلى الناس فأقول: كل الناس مني في حِلّ.

ويقول النبيّ ﷺ: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي الله يوم القيامة، فقال أحدهما: يا رب، خذ لي مظلمتي من أخي، فيقول الله تبارك وتعالى للآخر: رد عليه مظلمته، فيقول: يا رب، فنيت حسناتي، فيقول الله للأول: فنيت حسناته، فيقول: يا رب، خذ لي من سيئاتي واطرحها عليه، فيقول الله للأول: هل لك أفضل من ذلك؟ فيقول: ماذا يا رب؟ فيقول له الله ﷻ: لمن يملك الثمن، فيقول الرجل: ومن يملك الثمن، فيقول: أنت تملكه، فيقول: كيف يا رب، فيقول: بعفوك عن أخيك، فيقول: عفوت يا رب، فيقول الله تبارك وتعالى: خذ بيد أخيك وادخلا الجنة»[2]، أترى العفوّ؟ اعفوا واصفحوا عن أهليكم وأصحابكم وادعوا لهم، يتقبل الله منا ومنكم.

---

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2434).

(2) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 4/ 576)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (الحديث: 3/ 309).